منهجيات

في تدبر

أمثال القرآن الكريم

إعداد

د/ فلوة بنت ناصر بن حمد الراشد

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتدي ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا

وأصلي وأسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد :

فإن القرآن الكريم أنزله الله –تعالى- كتاباً لصلاح أمر الناس كافة رحمة لهم ؛ لتبلغهم مراد الله منهم قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ (٦٤) ﴾ النحل: ٦٤

فكان المقصد الأعلى صلاح الأمة وهدايتهم إلى الطريق المستقيم ، وقد أودع ذلك في ألفاظ القرآن التي خاطبنا بها خطاباً بيِّنا وتعبدنا بمعرفة مراده والاطلاع عليه فقال : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ (٢٩) ﴾ ص: ٢٩

وقد اختار الله اللسان العربي مظهراً لوحيه حيث كان لسانهم أفصح الألسن ، وكانت هذه اللغة أكثر اللغات تحملاً للمعاني مع إيجاز اللفظ ، فتحداهم مع فصاحتهم أن يأتوا بمثله فصار معجزة ؛ ليكون آية دالة على صدق رسوله ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ (٥٠) ﴾ العنكبوت: ٥٠.

ومن الأساليب العربية التي أظهرت إعجاز كتابه استخدام المثل في بيان المعنى المراد، فالمعاني السامية في معانيها وأهدافها تأخذ صورتها الرائعة إذا صيغت في قالب حسن يقرِّبها إلى الأفهام بقياسها على المعلوم اليقيني بحيث تبرز المعاني في صورة حية مشاهد تستقر في الأذهان ، فيصير الخفي جلياً والغائب مشاهداً.

والتشبيه فَنٌّ جميل من فنون القول، وهو يدلُّ على دقَّة مُلاحظة الأشباه والنظائر في الأشياء، سواءٌ أكانت مادّيات تُدرك بالحواس الظاهرة، أو معنويات، حتى الفكريات المحض ؛ إذْ ينتزع منها لماحُو عناصر التشابه بين الأشياء التي تدخُل في حدود ما يُعْلَم ولو لم يكن له وجودٌ خارج الأذهان، فيجدون بينها أجزاء يشبه بعضها بعضاً، على سبيل التطابق أو التقارب، فيُعبّرون عمّا لاحظوه من تشابهٍ يشبه

بعضها بعضاً، على سبيل التطابق أو التقارب، فيُعبّرون عمّا لاحظوه من تشابُهٍ بعبارات التشبيه (١) .

موقع الأمثال من خطاب القرآن:

الأمثال في القرآن الكريم من تصريف الآيات الَّذِي ورد في القرآن الكريم، كما قَال تعالى: ﴿ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (٤٦) ﴾ الأنعام: ٤٦ وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٨٩) ﴾ الإسراء: ٨٩ .

وتصريف الآيات يشمل تنويع الحجج والبراهين على قضية واحدة، فيؤتى للقضية الواحدة بأكثر من دليل وبرهان، فتتابع عليهم الحجج وتُصرَّف لهم الأمثال والعبر.

ويشمل تصريف الآيات تنويع الأساليب، فيؤتى بالدليل الواحد بأكثر من أسلوب: فتارة بالخبر، وتارة بالاستفهام، وأخرى بالنفي والإثبات، وأحيانا بضرب الأمثال أو القصص، ونحوها. وكل ذلك وارد في القرآن.

وقد أشاد الله –سبحانه– بأمثال القرآن ، مبيِّنا أنه اشتمل على كل مثل من الحق يحتاجه الناس، وأن السبيل قد استبان بتلك الأمثال. وما بقي على الناس إلا أن يتفكروا بها ويتذكروا: قَال الله –تعالى–: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (٥٤) ﴾ الكهف: ٥٤ وقال: ﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) ﴾ إبر اهيم: ٢٥ .

وبيّن سبحانه أن الأمثال من حجته البالغة على عباده، وأنه لم يعذِّب أمة بتكذيبها إلا بعد أن بيّن لها الأمثال. قَال تعالى : ﴿ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ (٤٤) ﴾ إبراهيم: ٤٤ وقال تعالى: ﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (٣٩) ﴾ الفرقان: ٣٩.

---

١ . البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها –عبدالرحمن الميداني (ج ١ / ص ٥٩٠)

معنى المثل:

قال ابن فارس : " الميم والثاء واللام أصلٌ صحيح يدلُّ على مناظرَة الشّيءِ للشيء. وهذا مِثْل هذا، أي نَظِيرُه، والمِثْل والمِثال في معنىً واحد "(١).

وقال ابن منظور: " مِثل كلمةُ تَسْوِيَةٍ يقال هذا مِثْله ومَثَله كما يقال شِبْهه وشَبَهُه بمعنى، فإِذا قيل هو مِثْلة على الإِطلاق فمعناه أَنه يسدُّ مسدَّه وإِذا قيل هو مِثْلُه في كذا فهو مُساوٍ له في جهةٍ دون جهةٍ "(٢).

وضرب المثل جعله يسير في البلاد؛ من قولك: ضرب في الأرض؛ إذا سار فيها.(٣)

والمتتبع لاستعمالات الكلمة عند العرب يجد استعمالات شتى منها : الشبه والتصوير والإبانة والنظير والصفة والعبرة والحجة ، وانطباق هذه المعاني على مفهوم المثل في القرآن حسب الزاوية التي ننظر من خلالها فالتمثيل :تصوير وتشبيه وتنظير كما أنه يتضمن حجة وعبرة يتم من خلالها العبور من شيء إلى شيء أي من الممثَّل به إلى الممثَّل له، أو إلى حقيقة ذاتية أو موضوعية بما يفهم السامع معنى ينطوي على فوائد وحكم.(٤)

المثل والحكمة: هناك ارتباط بين المثل والحكمة من حيث كون الحكم أحيانا تصبح مثلا سائرا، ومن أقسام الأمثال القرآنية كما ذكر السيوطي : " قسمان ظاهر مصرَّح به ، وكامن لا ذكر للمثل فيه "[٥] ثم ساق أمثلة من القرآن لهذا النوع –أي الكامن –: ليس لها من دون الله كاشفة – لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون – الآن حصحص الحق..... وقال : " وهذا هو النوع البديعي المسمى بإرسال المثل " .

---

١ . مقاييس اللغة (٥ / ٢٣٨) .

٢ – لسان العرب – (١١ / ٦١٠).

٣ . جمهرة الأمثال – (١ / ٢) للعسكري.

٤ – انظر الأمثال في القرآن الكريم ،الصديق بو علام ص١٩.

٥ . الإتقان – (٢ / ٣٤٤).

ومن الفروق بين المثل والحكمة : أن المثل وقع فيه التشبيه ، والحكمة قد يقع فيها التشبيه وقد لا يقع فإذا وقع فيها التشبيه اجتمعت مع المثل وإلا اختلفت عنه.

أما سبب تسمية هذا النوع مثلا: فلأنها أقوال اشتهرت، وتناقلتها الألسن وكثر تمثّل الناس به، والقول السائر هو الذي يشبَّه مضربه بمورده.(١)

التمثيل والتشبيه : من حيث الغرض البياني فالمؤدى واحد ، وبالرغم من أن علماء البلاغة فرّقوا بينهما ، فقال الجرجاني : " اعلم أنّي قد عرّفتك أن كل تمثيل تشبيهٌ، وليس كل تشبيه تمثيلاً ،- وقال أيضا- : فاعلم أن التشبيه عامٌّ والتمثيل أخصّ منه، فكل تمثيلٍ تشبيهٌ، وليس كلّ تشبيهٍ تمثيلاً " (٢) ، إلا أن هناك من يرى عدم التفريق بينهما قال ابن الأثير: " وجدت علماء البيان قد فرّقوا بين التشبيه والتمثيل وجعلوا لهذا بابا مفردا ولهذا بابا مفردا ، وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع يقال : شبّهت هذا الشيء بهذا الشيء كما يقال : مثّلته به ، وما أعلم كيف خفي ذلك على أولئك العلماء مع ظهوره ووضوحه " (٣).

ومما يمكن القول به في التفريق بينهما : أنهما يشتركان في المقابلة بين شيئين، لكن التشبيه يستلزم ثلاثة أركان : المشبّه ، والمشبَّه به ، ووجه الشبه ، أما المثل فهو صورة أرقى منه لما فيه من تجريد وتكثيف وتعميم وتركيز ، فالمثل لا تحضر عناصر التشبيه وحدها فتظهر على سطح التركيب والبناء الدلالي ، بل تكون غير ظاهرة لأول وهلة ؛ لأنها تبدو في الفكرة أو المغزى ، في المقدمة أو واجهة المثل ، فالمثل يوحي بالمعنى ولا يصرح ويشير ولا يعين .

ولعل هذا أحد الحِكم من قوله:﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ٤٣ ﴾ **العنكبوت: ٤٣** وفي هذا توجيه لطلاب العلم إلى تفهّم وتعقّل الأمثال القرآنية، وتكليف لهم بشرحها وبيانها للناس. ففيه حثٌّ على تعلّمها وتعليمها، ولأجل ذلك كان النبي ﷺ يعلّم أصحابه الأمثال. قَال

---

١ . الأمثال القرآنية القياسية -الجربوع - (١ / ١٧).

٢ . أسرار البلاغة - (١ / ٣٥ ، ٧٢).

٣ . المثل السائر - (١ / ٣٧٣) لابن الاثير.

عمرو بن العاص ﵁ : "عقلت عن رسول الله ﷺ ألف مثل"(١). قَال ابن كثير – رحمه الله –: "وهذه منقبة عظيمة لعمرو بن العاص ﵁ حيث يقول الله –تعالى– : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٣ "(٢).

فوائد أسلوب المثل في اللغة:

١- الإيضاح والبيان: وقد سبق أن ذكرنا أن المثل من تصريف الخطاب في القرآن ، فبه ينتقل المعنى من دائرة المعقول إلى دائرة المحسوس فيكون أوضح وأبين وأثبت، قال الجرجاني : " فأما القولُ في العِلّة والسبب، لِمَ كان للتمثيل هذا التأثير؛ ......، فأَوَّلُ ذلك وأظهره، أنّ أُنْس النفوس موقوفٌ على أن تُخرجها من خفيٍّ إلى جليٍّ، وتأتيها بصريح بعد مكنيٍّ، وأن تردَّها في الشيء تُعلِّمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتُها به في المعرفة أحكم نحو أن تنقُلها عن العقل إلى الإحساس وعما يُعلَم بالفكر إلى ما يُعلم بالاضطرار والطبع ؛ لأن العلم المستفادَ من طرق الحواسِّ أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حدِّ الضرورة، يفضلُ المستفاد من جهة النَّظر والفكر في القوة والاستحكام، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام، كما قالوا: ليس الخَبَرُ كالمعاينة، ولا الظنُّ كاليقين.."(٣).

٢- التثبيت والتذكر للمعنى الذي سيق لأجله المثل : قال السيوطي : " فإن الأمثال تصوّر المعاني بصورة الأشخاص ؛ لأنها أثبت في الأذهان ؛ لاستعانة الذهن فيها بالحواس "(٤)، ومعلوم أن المثل يكون في الذهن صورة والصورة غالبا حاضرة في الذهن وثابتة في الذاكرة.

٣- تحفيز العقل على التفكير في جوانب المثل وبالتالي فالتذكر به أثبت ، وقد سبق في الفرق بين التشبيه والمثل أن المثل أرقى من حيث أن المغزى غير مصرَّح به ، مما يحتاج إلى إطالة الفكر ، وللجرجاني في هذا المفهوم كلام لطيف حيث قال: " أن المعنى إذا أتاك ممثَّلاً، في الأكثر ينجلي لك بعد أن يُحْوِجك ...ومن المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نَيله أحلَى، وبالمزِيَّة أولى، فكان موقعه من النفس أجلّ وألطف، ....فإنك تعلم على كل حالٍ أن هذا الضرب من

---

١ . رواه الإمام أحمد في مسند عمرو بن العاص، (ح١٧٧٣٣)، (١٣/٥٠٥).

٢ . تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣/٤١٤).

٣ . أسرار البلاغة – (ج ١ / ص ٤٤).

٤ . الإتقان – (٢ / ٣٤٤)

المعاني، كالجوهر في الصَدَف لا يبرز لكَ إلاّ أن تشُقَّه عنه، وكالعزيز المحْتجب لا يُريك وجهه حتى تستأذِن عليه، ثم ما كلُ فكر يهتدي إلى وجهِ الكَشْفِ عمَّا اشتمل عليه، ولا كُلّ خاطر يؤذَن له في الوصول إليه، فما كل أحد يفلح في شقّ الصَدَفة، ويكون في ذلك من أهل المعرفة، كما ليس كلُّ من دنا من أبواب الملوك، فُتحت له.."[1].ومعلوم أن الأفهام تتفاوت في استخراج درر الأمثال من فوائد وحكم ، بل هو من مناطات إعجاز القرآن ، فإن كل عصر يمكنه أن يستمد من الأمثال فوائد غير سابقيهم حسب ما يستجد من أحوالهم ، وهذه أحد أهم سبل تدبر القرآن والتذكر به.

عدد أمثال القرآن:

١- مجمل عدد أمثال القرآن :أكثر من أربعين مثلا معظمها فيه تصريح بالتمثيل (مثل..).

السور التي وردت فيها: البقرة (تسعة أمثال). ١٠- أل عمران: (مثلان) . ١٢-الأعراف (مثلان) . ١٤- التوبة . ١٥- يونس. ١٦- هود. ١٧- الرعد (مثلان) . ١٩- إبراهيم (مثلان) ٢١- النحل (ثلاثة أمثال). ٢٤ – الكهف(مثلان). ٢٦- الحج. ٢٧- النور (مثلان) .٢٩ – الروم. ٣٠- يس (مثلان). ٣٢- الزمر .٣٣- الزخرف (مثلان) . ٣٥- محمد. ٣٦- الفتح . ٣٧- الحديد . ٣٨- الحشر. ٣٩- الجمعة. ٤٠- التحريم.

٢- إذا أضفنا إلى هذا الآيات التي يرد فيها التشبيه فإن العدد أكثر والفوائد أوسع.

الموضوعات التي سيقت فيها الأمثال:

إذا كان لأسلوب المثل هذه الفوائد فلا عجب أن نرى أكثر أمثال القرآن مضروبة للقضايا الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجليلة المتعلقة بأصول الدين، بل إن القرآن نص على شمولية الأمثال فقال : { ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ } الكهف: ٥٤ ومن موضوعات الأمثال الكلية:

مثل نور الله – مثل المؤمن ومثل الكافر – مثل الإسلام ومثل الشرك –

---

[1] . أسرار البلاغة (١ / ٥٠)

- مثل المنافقين - ومثل المنافقين- مثل الجنة – مثل المنفقين في سبيل الله – مثل ما ينفقه الكافر
- مثل الحق ومثل الباطل – الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة.

وبعض هذه القضايا يضرب لها أكثر من مثال.

- وهناك مثل قصصي فتدخل القصة على المثال كما في سورة الكهف.

أغراض الأمثال القرآنية:

ذكرنا في فوائد أسلوب المثل عامة : التوضيح والبيان ، والتثبيت ، والتحفيز للتفكير ، وهذه الفوائد ملموسة في الأمثال القرآنية وسيستبين ذلك –بمشيئة الله – عند تناول الأمثلة التطبيقية ، ونضيف هنا فوائد أخرى منها:

١- الأهداف الاعتقادية :

تضمنت الأمثال القرآنية البرهان على وجوب توحيد الله بالعبادة، وذم الشرك وأهله وهذا الهدف هو أكثر موضوعات الأمثال[١].

ولو ألقينا الضوء على موضوع الشرك وذم أهله لوجدنا أمثال كثيرة يمكن تصنيفها كالتالي:

- تمثيل المشركين في القرآن : وصف الله المشركين بإعاقات خُلُقية فيهم مثل العمى والصمم في هذا المثل ونقصان العقل في آية أخرى

- تمثيل أعمال المشركين: وقد شبّه الله أعمال المشركين في الآيات السابقة بصور متعددة في حبوطها فمرة بالريح العاصف ، ومرّة بالرماد ، ومرة بالسراب ، ومرة بالحجر الصفوان الذي عليه تراب فأصابته مطر فتركته أملساً ناعماً لا تراب عليه ، وفي هذه الصور المتفرقة توضيح للمعنى وإجلاء للفكرة ، تبرز فيها فساد أعمال المشركين وذهاب نفقاتهم أدراج الرياح.

- تمثيل معبودات المشركين: العنكبوت ، الذباب.

---

[١] . وقد أفرد عبد الله الجربوع ثلاث مجلدات كاملة شرح فيها كيفية تحقيق الأمثال القرآنية للهدف العقائدي وعنون دراسته ب"الأمثال القياسية الضرورية للإيمان بالله" ، وفيها يقول: إن أغلب الأمثال القرآنية القياسية تهدف إلى تحقيق التوحيد، سواء توحيد الألوهية أم الربوبية أم توحيد الأسماء والصفات –انظر:الأمثال القرآنية القياسية –الجربوع – (١ / ٦)

- تمثيل المشركين في إعراضهم عن الهداية: لقد ضرب الله أمثالاً في إعراض المشركين عن سماع الهداية ونفورهم من الدعاة المخلصين ، فمثّلهم الله بالأنعام التي لم تعقل ما خلقت له ، ومثّلهم بالحُمر الوحشية في سرعة نفورها من أدنى خطر يقترب منها ، وهذا حال المشركين مع سماع الهداية يهربون منها كل الهرب وهذه أمثلة عليها:

- أمثلة متفرقة في المشركين:

- ﴿ **وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ** (١٧١) ﴾ البقرة: ١٧١ جاء هذا المثل القرآني بتمثيل المشركين بالناعق وهو المصوت على الغنم بالصوت القوي والمنخفض وهي لا تفهم من صراخه وعويله شيئاً إلا مجرد الصراخ والكافر مثل هذه الأنعام في دعائه لأصنامه ، فهي لا تسمعه ولا تضره ولا تنفعه شيئاً

- ﴿ **ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** (٢٩) ﴾ الزمر: ٢٩

هذا المثل الصريح الذي أظهر الله من خلاله فساد عقول هؤلاء المشركين وضعف تفكيرهم . فهذا المثل العظيم إنما هو مثل للمشرك والموحد ؛ إذ مثّل الله لهم برجل مملوك لشركاء كثير متنازعون فيه كل وقت ، متخاصمون فيه كل حين

٢- الأهداف السلوكية :

وتشمل التعبدية المتمثلة في العمل الصالح والشعائر الدينية والعبادات القلبية والبدنية، كما تشمل الأخلاق ، وهذا يعد الصف الثاني من الأهداف :

ومن أمثلة ذلك:

*الأمر بغض الصوت : ﴿ **وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ** (١٩) ﴾ لقمان: ١٩ *النهي عن الغيبة : ﴿ **وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ** (١٢) ﴾ الحجرات: ١٢

*النهي عن ترك العمل بالعلم : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ ﴾ الجمعة: ٥

*الأمر بالإنفاق في سبيل الله: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١ ﴾ البقرة: ٢٦١

- ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۢ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ ﴾ البقرة: ٢٦٥ *النهي عن الربا : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ﴾ البقرة: ٢٧٥

*النهي عن موالاة الكفار : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ١٣ ﴾ الممتحنة: ١٣

*النهي عن ترك الجهاد في سبيل الله: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠ ﴾ محمد: ٢٠

*التزهيد في الدنيا : ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠ ﴾ الحديد: ٢٠

- ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ٤٥ ﴾ الكهف: ٤٥

٣- الأهداف الوجدانية:

ويتمثل ذلك في الترغيب والترهيب،

- فمن صور الترغيب في الأمثال:

أ- ذكر ما أعده الله للمطيعين من أصناف النعيم في الدنيا والآخرة ورضوان الله.

ب- صيغة التحسين والمدح للمرغب فيه، أو بإثارة انفعالات الاستحسان والقبول والارتياح للمرغب فيه مثل : الجنة التي بربوة ، النور ، الحياة .

- **أما الترهيب فمن صوره:**

أ – ذكر ما أعده الله للعصاة، من عقاب وأصناف الوعيد في الدنيا والآخرة.

ب- تقبيح وذم المرهب فيه، وقد يأتي بإثارة انفعالات الاحتقار والتقزز والكره للأمر المرهب فيه مثل :أكل لحم الميت – الحمار – الكلب- العمى – الموت.(١).

كيف نتدبر الأمثال القرآنية:

من أهداف تنزيل القرآن تدبره تدبرا يوصلنا للتذكّر والعمل به ، قال تعالى : {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص/٢٩]

والأمثال القرآنية داخلة في عموم هذا الغرض ، وقد رأينا في العرض ال سابق الأهداف والفوائد من سوق الأمثال ، ورأينا كيف خُصّت الأمثال بمزيد إعمال الفكر للوصول إلى أعلى مراتب الاستفادة منها في قوله :﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ٤٣ ﴾ العنكبوت: ٤٣ وقال تعالى :﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ ﴾ الحشر: ٢١ ،وقال تعالى :﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٢٧ ﴾ الزمر: ٢٧ فنتأمل الأفعال المذكورة مع المثل : عقل ، تفكر ، تذكر .

---

١ . وفي دراسة للأمثال القرآنية درس فيها الباحث (١٢٧) ، مثلا مدروسا، ١٠٤ منها تضمنت هذا الغرض التربوي، وقد بينت الدراسة تغليب أسلوب الترهيب على الترغيب، حيث احتلت نسبة الترهيب ٧٥،٩٦ % من ١٠٤ أمثال، أما نسبة الأمثال المرغبة فقد بلغت ٢٤،٠٣ % ويفسر الباحث ذلك بأن الله في القرآن الكريم، ركز على الترهيب من الكفر والشرك والعادات الباطلة، التي كان يتصف بها المجتمع الجاهلي، خصوصا في الفترة المكية التي دامت أكثر من ثلاث عشرة سنة، وحتى في مرحلة المدينة، فقد بدأت الحروب مع المشركين، أضف إلى ذلك ظهور اليهود والمنافقين، فكان الترهيب من عقائد كل أولئك وأعمالهم تفرضه أوضاع المرحلة –انظر : المدلولات التربوية للأمثال القرآنية – دراسة تحليلية لنصوص القرآن- إعداد : يزيد حمزاوي

والتذكر ثمرة التفكر وإعمال العقل ولذا ورد في الحديث (إن القرآن نزل على خمسة أوجه : حلال، حرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام ، واتبعوا المحكم ، وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالأمثال)(١).

وقد عدّه الشافعي مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن فقال : " ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته المثبتة ؛ لاجتناب معصيته ، وترك الغفلة عن الحفظ ، والازدياد من نوافل الفضل ".(٢)

ويمكن تدارس الأمثال عامة في القرآن بعدة طرق لكل منها فائدته ومنها:

الطريقة الأولى:-

طرح موضوع الأمثال في مجال التفسير الموضوعي للموضوع القرآني أكثر من جعْله من موضوعات علوم القرآن ؛ ليأخذ حقه من البيان والتوضيح والاعتبار ، وبما أن التفسير الموضوعي قائم على جمع الآيات المتعلقة بموضوع واحد وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية ، فإن الجمع يمكن أن يأخذ عدة اتجاهات منها :

١- اتجاه عام يُجمع فيه جميع الآيات التي استُعمل فيها المثل وهذا ما فعله ابن القيم في كتابه (الأمثال في القرآن) وهو في الأصل فصل من كتابه (إعلام الموقعين).

٢- اتجاه خاص في جمع الأمثال ويمكن تقسيمه أيضاً إلى عدة مجالات :

أ- أن يكون الجمع باعتبار الممثّل له وهو الذي وقع التمثيل لأجل بيانه ، ومن أمثلة ما وقع التمثيل لبيانه ": الحق والباطل ، المؤمن والكافر والمنافق، المنفق والبخيل، العلم والجهل، ويكون ذلك إذا تكررت الأمثال لموضوع واحد. ويرجع عدد مرات التكرار إلى مدى أهمية القضية التي يُضرب لها المثل ، وقد سبق في الأهداف الاعتقادية ذكر تكرر أمثال الشرك والمشركين من زوايا متعددة نظرا لأهمية القضية المضادة وهي التوحيد.

---

١ . أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٣٠٧/٥).

٢ . البرهان في علوم القرآن - (١ / ٤٨٦).

ب- أن يكون الجمع باعتبار الممثَّل به وهو ما وقع التمثيل به سواء كانت مشاهد كونية أو غيرها مثل : الظلمات ، النور، النار، البحر، الموت ، الحياة ، الماء ، الأودية ، الجنة، السراب، وغيرها. وقد يكون الممثَّل به واحد ، ولكنه يُضرب لأكثر من قضية حسب الاعتبار المنوط به ، كالمثل المائي والناري ضُرب به لأكثر من قضية ، فورد صورة للمنافقين في سورة البقرة وورد في سورة الرعد قضية أخرى . وهذا حسب الوصف المناط بالممثل به. وإبراز مثل هذه القضايا في التأليف والبحوث القرآنية من باب كشف أسرار القرآن ومعانيه وبيانه وإعجازه.(١)

ومن خصائص الأمثال من حيث الموضوع التي يضعها المتدبر في الحسبان :

١- ارتباط الأمثال القرآنية بالظروف الدعوية التي مرت بها الدعوة وتنزّل القرآن تبعا لها ، فالأمثال ضمن منظومة القرآن المكي تختلف عنها في القرآن المدني فكما أن القرآن المكي يحمل موضوعات تتناسب مع هذه المرحلة ، فالمدني كذلك -حسب استقراء العلماء- لذلك فالأمثال كذلك ، وتطبيق ذلك أن المثل القرآني طابعه المكي الذي يحث على ضرورة الاهتداء، وما تقتضيه الرسالة السماوية من ضرورة التغيير الجذري في العقائد والعادات، والتذكير بالآخرة.

وقراءة المثل التدبرية باستصحاب نوع السورة التي ورد فيها المثل يجلي الكثير من الفوائد خاصة فيما يتعلق بما يتناسب مع الظرف الزماني من الخطاب.

ومثاله: تمثيل الكافر بالأعمى والأصم في سورة هود — وهي مكية - ،وتمثيل من اتخذ من دون الله أولياء بالعنكبوت في سورة العنكبوت —وهي مكية-.

بينما نراه في السور المدنية يشدد على اعتناق الفضائل، وتقويم المجتمع وإصلاحه، وكشف المنافقين ومن ظاهرهم من اليهود .

ومثاله : تمثيل الغيبة في سورة الحجرات — وهي مدنية-، أحوال النفاق في سورة البقرة —وهي مدنية-.

٢-شمولية أمثال القرآن ولهذه الخاصية اتجاهان:

أ – الشمولية في الموضوع الذي سيق لأجله المثل (الممثَّل له) بحيث يشمل:

---

١ . انظر مقالة د/مساعد الطيار (ثلاث أفكار في الأمثال القرآنية) منشورة في موقع: ملتقى أهل التفسير

- قضايا الدين الرئيسية كما سبق ذكره في موضوعات الأمثال.

- كما يشمل الشخصيات المتنوعة بين صالحة (مثل: الأنبياء، لقمان ، الصحابة)، وفاسدة مثل: (الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها) .

- وبين رجال ونساء (امرأة نوح ولوط،وامرأة فرعون) ،

- وبين معروفين بالاسم وبين مجهولي العين، وفي هذا الشمول توسيع دائرة الاستفادة من الأمثال لكل مخاطب.

ومن فوائد ذلك : توسيع دائرة المخاطبين بالأمثال حسب أحوالهم . وقراءة المثل التدبرية باستصحاب الشمولية يجلي الكثير من الفوائد خاصة فيما يتعلق بعموم الخطاب القرآني لأنواع المخاطبين.

ب - الشمولية والتنوع في الممثل به أو الأمثال عموما ؛ حيث إن الممثّل به عامل من عوامل البيان ، ومعلوم أن البيئات متنوعة وبالتالي فإن نسبة الوضوح والبيان ستتفاوت حسب الساكن لهذه البيئة فسكان البادية مثلا تتضح لهم أمثلة البيئة الصحراوية أكثر من غيرهم في حين أن سكان المدن الساحلية ستتضح لهم الأمثلة التي تُذكر فيها البحار و رموزها أكثر من غيرهم .

ومن بلاغة الأمثال القرآنية تنوّع مفردات الممثل به من بيئات مختلفة ؛ ليحصل بمجموعها تكامل البيان لما سيقت لأجله .

فالله —تعالى- يضرب المثل بالعنكبوت والحمار والجمل والفراش المبثوث والنخل ، وغيرها من الممثلات التي يكثر وجودها في البادية وفي الصحراء، ، وقد يكون المخاطب يعيش في مدينة، لا يعرف عن قرب تلك الممثّلات، فتأتي أمثال أخرى من المطر والغيث والسحاب والبحر والنور ..وغيرها مما هو موجود في بيئته، وتعدد أوجه التشبيه وأدواته، يعين في تعليم المخاطب والتأثير فيه من حيث أنه إذا استشكل ممثلا به أو تشبيها، بسبب عدم إدراكه له، أو بسبب افتقاره له في مخزونه المعرفي ؛ لعدم وجود ذلك الممثل به في بيئته التي يعرفها، جاء مثل آخر بتشبيه آخر بممثل آخر يعرفه المخاطب فيكون فهْمه به أكثر من المثل الذي يجهل رموزه ، فيفهم المثل، ويتحقق مطلوب الرسالة القرآنية. فالقرآن إذن يحوي كما كبيرا من الأمثال سواء كانت من البيئة المشاهدة أو غير المشاهدة للإنسان، و التي تعين في تقريب المعنى وتكثيف الصور المحسوسة أمام المتعلم، من خلال تنويع عناصر التمثيل المستوحاة من بيئة الإنسان.

٣- تكرار الأمثال: ومن صفات القرآن أنه مثاني تكرر فيه ذكر بعض القضايا بأساليب متنوعة ونظير هذا التكرار في القصة القرآنية ، ومن أمثلة التكرار في الأمثال :

- – تعدد التمثيل لعمل الكافر :بالسراب ، الرماد.
- – تعدد التمثيل لترك العمل بالعلم : بالحمار والكلب .
- – تعدد التمثيل للإنفاق : بالجنة ، والسنبلة.
- – تعدد التمثيل للحياة الدنيا في سورتي الكهف والحديد بالزرع.

ومن فوائد ذلك :

١- بيان أهمية الموضوعات التي تعدد التمثيل لها .

٢- التقرير والتأكيد للمفهوم الذي سيق لأجله المثل ، يقول الزركشي في البرهان عن التكرار : " وفائدته العظمى التقرير، وقد قيل: الكلام إذا تكرّر تقرّر "[١] ولذا غالبا نجد التكرار يرتبط بأهمية موضوع المثل .

٣- تبرز معه صورة من صور إعجاز القرآن وبلاغته على تلوين الأساليب لقضية واحدة.

وهذه أمور ينبغي استحضارها جميعا في التعامل مع تدبر الأمثال القرآنية لتوسيع دائرة الاستنباط وتعميق المفاهيم المستنبطة ومن ثم أهمية العمل بمدلولاتها .

خصائص تتعلق بالأسلوب:

يسري على الأمثال ما يسري على وصف القرآن عامة ، فقد أعجز العرب وهم الفصحاء البلغاء أن يأتوا بمثله ، ومما يمكن أن نتحدث هنا عن فصاحة الأمثال القرآنية عن غيرها من الأمثال ما يلي :

١- دقة التصوير وصدق المماثلة : تتميز الأمثال القرآنية بميزة دقة التصوير وصدق المماثلة، وهذا مما يعين على التأثير وتحقيق الهدف .

---

[١] . انظر: البرهان للزركشي (١٠/٣) .

فمثلا حينما يصور المثل أعمال الكافرين التي لا وزن لها ولا فائدة ترجى منها في الحياة الأخرى، فإنه يشبّهها بذرات الرماد المتناثرة والمتطايرة هنا وهناك، في مهب الريح كما في قوله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨ ﴾ إبراهيم: ١٨ .

٢- الأمثال القرآنية تتميز بتماسك صورها التمثيلية تماسكا شديدا ، يجعلها بحيث لو حاولنا فصل أحد الأجزاء لانفرط عقد الصورة وانتثرت معالم الجمال فيها، فالقوة البيانية متمثلة في إعطاء الفكرة عن طريق الصورة التمثيلية مركبة الأجزاء، ولا يأتي التمثيل عبثا لكن يجيء عقب فكرة يراد توضيحها وتمكينها في ذهن السامع ؛ لذا فإن الأمثال في القرآن تمتاز بانتقاء الألفاظ واختيارها اختيارا مناسبا.

ومن الأمثلة: قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥ ﴾ الجمعة: ٥ ، فقد يُتوهّم أن المعنى يُفهم لو اقتصر في التشبيه على قوله "كمثل الحمار الذي لا يعقل"، ولكن الصورة تزداد قوة والتصاقا حين يقرن بقية أجزائها إليها من حمل الأسفار وعدم الفقه بما فيها، واعتقاد أنها كبقية الأحمال، التي تثقل الكاهل وتجهد القوي، وذلك في جميع أبعاده يطابق حال اليهود، وقد مُنحوا التوراة لتكون لهم نبعا يستقون منه الحكمة والهداية، ولكنهم يحملونها بأثقال سواعدهم بها دون أن يتدبروها، وكأن في قلوبهم الأقفال، فتمام الصورة لا يحصل إلا بتجميع كل هذه الأجزاء، ومن هنا تبرز الصورة الفنية قوية التعبير صادقة الأداء. وهذه الخاصية تعزز من كون ضرب المثل لتقريب المعنى للمخاطب، بحيث أن المثل الذي يتميز بدقة ألفاظه وصدق مماثلته يعزز من وضوحه وبيانه، مما يعني وصوله إلى ذهن المخاطب بالطريقة المثلى.(١)

الطريقة الثانية :

أن يكون الجمع باعتبار الأمثال الواردة في سورة بعينها، فقد تشتمل السورة الواحدة على عدد من

---

١ . انظر: المدلولات التربوية للأمثال القرآنية – دراسة تحليلية لنصوص القرآن- إعداد : يزيد حمزاوي . وانظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٠ / ٥٦) ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٨ / ١١٨).

الأمثال ، ومراد التدبر بهذا الاتجاه ربط قيم الاعتبار بالأمثال بموضوع السورة ومقصدها الرئيس ، وهو منهج في تناول الأمثال تتسع دائرة الفوائد.

والمتدبر للأمثال القرآنية يتضح له ارتباط المثل بمقاصد السور التي وردت فيها ، فالمثل يلتحم مع السورة التحاما موضوعيا لا ينفصل عنها ، وقد أشار لذلك ابن القيم لما عرض للأمثال الواردة في سورة التحريم وهي امرأة نوح وامرأة لوط قال : " ثم في هذه الأمثال من الأسرار البديعة ما يناسب سياق السورة فإنها سيقت في ذكر أزواج النبي ﷺ ، والتحذير من تظاهرهم عليه وأنهن إن لم يطعن الله ورسوله ويردن الدار الآخرة لم ينفعهن اتصالهن برسول الله كما لم ينفع امرأة نوح ولوط اتصالهما بهما ولهذا إنما ضرب في هذا الصورة مثل اتصال النكاح دون القرابة"[١] .

ومن أمثلة ذلك سورة النور ، فقد كانت الأمثال الواردة فيها هي المحور الرئيس في السورة بحيث التفت موضوعات السورة حوله .

ومثل ذم الغيبة في سورة الحجرات التي هي تتحدث عن الآداب بمستويات متنوعة.

مراحل تدبر وتحليل المثل :

أما عن تدارس المثل الواحد فإنه يمكن تحصيل فهمه وتدبره بقدر يوصلنا إلى العمل بما فيه بالأسباب التالية :

- **أ-** فقه أهمية الأمثال بالجملة وفيما تقدم بيان لهذه الأهمية.
- **ب-** لتدبر المثل مستويان من الفهم ، وقد كان لأهل العلم في دراسة الأمثال القرآنية طريقتان هما: طريقة التشبيه المركب، وطريقة التشبيه المفرق.

وقد أشار ابن القيم – رحمه الله – إلى هاتين الطريقتين في معرض كلامه على مثل النور في قوله تعالى:{مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ} فقال: "وفي هذا التشبيه لأهل المعاني طريقتان:

إحداهما: طريقة التشبيه المركب وهي أقرب مأخذا، وأسلم من التكلف. وهي تشبيه الجملة برمتها بنور المؤمن، من غير تعرّض لتفصيل كل جزء من أجزاء المشبه ومقابلته بجزء من المشبه به .

---

[١] . الأمثال لابن القيم :ص٢٦٥ .

والثانية: "طريقه التشبيه المفصل(١) .

كما أشار إليها الزمخشري في تفسير لمثل سورة الحج : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾ الحج: ٣١ حيث قال : " يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق، فإن كان تشبيها مركبا ، فكأنه قال: من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده نهاية، بأن صوّر حاله بصورة حال من خرّ من السماء فاختطفته الطير، فتفرق مزعا في حواصلها ، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة. وإن كان مفرّقا فقد شبّه الإيمان في علوه بالسماء، والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء، والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطوّح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوى بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة" (٢)

قال ابن عاشور بعد أن ساق قول الزمخشري: " وَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ أَنَّ فِي مَطَاوِي هَذَا التَّمْثِيلِ تَشْبِيهَاتٍ كَثِيرَةً لَا يَعُوزُكَ اسْتِخْرَاجُهَا"(٣) .

وكلا هاتين الطريقتين مهمتان ومطلوبتان، ولهما مميزاتهما.

فالأولى: أسهل وأسلم كما وصفها ابن القيم – رحمه الله – بقوله : " وهي أقرب مأخذاً، وأسلم من التكلف". ويناسب خطاب العامة ومن في حكمهم، من حيث الاقتصار على الغرض العام من المثل.

والثانية: تبيّن خاصية الأمثال في دقة التصوير وسرعة التفهيم، وإصابة المعاني، وإزالة الإشكال، وإبراز الفوائد، ونحوها. وهي التي بسلوكها يصدق وصف : (وما يعقلها إلا العالمون) ، والواقع أن الثانية هي التي سلكها ابن القيم في شرح الأمثال وهي التي يمكن بها استنباط الفوائد.

وفي هذا المعنى يقول الماوردي : " من أعظم علم القرآن علم أمثاله، والناس في غفلة عنه لاشتغالهم

---

١ . اجتماع الجيوش الإسلامية (١ / ١٣)، و انظر : الأمثال القرآنية القياسية –الجربوع – (١ / ٨).

٢ . تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ١٥٥).

٣ . التحرير والتنوير (١٧/ ٢٥٥).

بالأمثال، وإغفالهم الممثلات...."(١) .

وباب ذلك حُسن الاستنباط من كتابه – أي القرآن – قال ابن القيم : " وقد مدح الله أهل الاستنباط في كتابه ، وأخبر أنهم أهل العلم ، ومعلوم أن الاستنباط إنما هو استنباط المعاني والعلل، ونسبة بعضها إلى بعض ، فيعتبر ما يصح منها بصحة مثله ومشبهه ونظيره"(٢).. قال الجوهري: "الاستنباط قدر زائد على مجرد فهم اللفظ " فإن ذلك ليس طريقة الاستنباط ؛ إذ موضوعات الألفاظ لا تُنال بالاستنباط، وإنما تُنال بالعلل والمعاني والأشباه والنظائر، ومقاصد المتكلم. والله –سبحانه– ذم من سمع ظاهراً مجرداً ، فأذاعه وأفشاه ، وحمد من استنبط من أولى العلم حقيقته ومعناه"(٣) .

ج– الوقوف على معاني المفردات بشكل عميق يراعى فيه ما يجلي المفردة وأصل اشتقاقها ، وعلاقته بالسياق الذي وردت فيه ، فلا يمكن مثلا معرفة أمثال سورة النور (الله نور السموات ...) بدون معرفة معنى المشكاة ، والمصباح ، والسراب والقيعة وغيرها من مفردات المثل. وهذا أمر عام في التفسير ، ويتأكد في الأمثال القرآنية حيث إن كثيرا من الفوائد التدبرية تتمحور حول المفردة . ومع معرفة و فقه أبعادها و معرفة ما ترمز له كل مفردة في المثل تحصل عملية المقايسة بين ركني المثل بشكل صحيح .

ولتطبيق الطريقة المفرقة من تدبر الأمثال:

١– تؤخذ كل مفردة واردة في المثل وتُدرس بمراجعة المعنى من كتب اللغة والمعاني من حيث أصل الاشتقاق ، ثم معرفة موقعها من المعنى داخل الآية ، ولعل من أنسب الكتب التي تستجمع هذا الغرض: (المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني) (٤).

٢– التأمل في صفات الممثَّل به : ولا يُكتفى بالصورة العامة له ، بل نأخذ كل تفصيل لحال من أحواله في الآية على حدة .

---

١ . الإتقان (٣٨٦/١).

٢ . أعلام الموقعين:(١٧٢/١).

٣ . أعلام الموقعين:(٢٨٩/١).

٤ . ومما يوصل لهذا الغرض مراجعة المعاجم اللغوية وخاصة التي تعنى بأصل الاشتقاق ولعل أهمها مقاييس اللغة لابن فارس ، وكذلك كتب غريب القرآن ، والتفاسير التي تعظم عنايتها بالبلاغة

٣- القيام بعمل المقابلات والمقايسة بين أجزاء الممثَّل به وأجزاء الممثّل له حتى تستبين الصورة.[١] مثل أوجه القياس والشبه بين الوحي والماء ، وأوجه القياس بين الحياة الدنيا والنبات

٤- القيام باستنباط الفوائد المترتبة على هذه المتقابلات.

٥-استحضار تطبيقات معاصرة تناسب الوصف والتشبيه الوارد في الآية حتى يتم التذكر بالآية وإنزالها واقعا تطبيقيا في الحياة.

مثال تطبيقي لدراسة الأمثال باعتبار السورة

الأمثال في سورة النور

سورة النور سورة مدنية باتفاق أهل العلم ومن دراسة أسباب نزول آياتها نعلم أن بعضها نزل في السنة الرابعة وهي آيات الإفك وبعضها نزلت سنة تسع بعد غزوة تبوك وهي آيات اللعان

وطريقتنا في العرض هنا شرح الأمثال ثم بعد ذلك ربط هذه الأمثال بموضوع السورة ومقاصدها.

ورد في السورة ثلاثة أمثال متتالية ابتدأت في منتصف السورة تقريباً بقوله:

﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ

---

[١] . وللعلم فإن كتاب أمثال القرآن لابن القيم فصل من كتاب أعلام الموقعين الذي في عمومه يتحدث عن الفقه والفتيا أدرجه تحت فصل مطول عن القياس ، مما يدل على حاجة الأمثال إلى عملية القياس ليتم الاستنباط ، وهو أثر للفكر والعلم والعقل المشار إليه في آيات ضرب المثل :(وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) [العنكبوت/٤٣] ، {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (٢١) سورة الحشر

حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ النور: ٣٥ - ٤٠
سنعرض أولاً للمفردات ومعانيها ثم تفسير المثل بأشهر أقوال المفسرين ثم نعرض الفوائد المستنبطة .

المفردات :

المشكاة : فرجة في الجدار مثل الكوة غير نافذة ، فإن كانت نافذة فهي الكوة. هذا هو المشهور وهو ما رُوي عن ابن عباس وابن عمر –رضي الله عنهما – لكن ما ورد في معناها أيضاً كما ورد عن مجاهد أن المشكاة العمود الذي فيه القنديل يكون على رأسه.(١)

المصباح : أي السراج (٢) . وقال ابن عاشور : " اسم للإناء الذي يوقد فيه الزيت للإنارة ، مشتق من الصبح أي ابتداء ضوء النهار .ويراد به تخصيصاً الفتيلة التي توضع في الفانوس "(٣).

أو كما قال ابن كثير : " الذبالة التي تضيء ".(٤)

زجاجة : قنديل من زجاج قال الزجاج : (وقال: (الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ) – لأن النور في الزُّجاج وضوء النارِ أَبْيَنُ منه في كل شيءٍ، وضوؤه يزيدُ في الزُّجَاجِ.)(٥)

كوكب دري : قال أبو عبيدة : " بغير همز أي مضيء ، ويراد كالدرّ إذا ضممت أوله، فإن كسرت جعلته فعيلا من درأت وهو من النجوم الدرارئ اللاتي يدرأن "(٦).

---

١ . انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٥٢) ، مفردات الراغب:ص ٢٦٦،التحرير والتنوير (٢٣٥/١٩)، والأقوال أخرجها الطبري:(١٨٣/١٩).

٢ . غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٦١)، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤٤).

٣ . التحريروالتنوير (٢٣٥/١٩).

٤ . تفسير ابن كثير(٦١/٦).

٥ . معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤٣)

٦ . مجاز القرآن (٢/ ٦٦) ، وانظر : غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٢٦١).

والمعنى : متلألئ وقَّادٌ شبيه بالدُّرِّ في صفائه وزُهرته ودراري الكواكب عظامها المشهورة .[1]

الشجرة المباركة : شجرة الزيتون كما وضحتها الآية .

صورة المثل : أو الممثل به : شبه الله نوره بنور المصباح فهو يصف في هذا المثل شدة لمعان وإضاءة وانتشار وصفاء ذلك النور المنبعث من المصباح وأسباب هذه الأوصاف

– فهذا المصباح الذي شع منه النور مكان وجوده في مشكاة وهي كوة داخل الجدار غير نافذة (فجوة جدارية كنا نسميها في مصطلح الديكور) وهو مكان يتخذ لوضع المصباح ليكون أشد انتشاراً فشأن مكان المصباح أنه في مشكاة تحصر الضوء ؛ ليبدأ انتشاره منه ، فهو أشد إضاءة مما لو كان في بيت.

– يحيط بهذا النور الذي في المصباح زجاجة (المصباح في زجاجة) ويلاحظ هنا إظهار في مقام الإضمار فلم يقل (فيها مصباح في زجاجة) ؛ لأن المصباح هو أعظم أركان التمثيل : الزجاجة آنية شفافة تتخذ لمصباح الزيت لأن الزجاج لا يحجب نور السراج.

وقد تضمن التمثيل تشبيهاً آخر فالزجاجة كأنها كوكب دري وذلك في شدة صفاء الزجاجة.

- هذا المصباح بعد أن وُصف مكانه وما يحيط به وصف مادة وقوده :

﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ النور: ٣٥ يوقد : الوقود ما يزاد في النار المشتعلة ليقوى به وأريد ما يمد به المصباح من الزيت ، وفي صيغة المضارع إفادة تجدد إيقاده أي لا يذوي ولا يطفأ .

ومادة الوقود من شجرة مباركة ذكر اسم جنسها ثم أبدل منه (زيتونة) وهو اسم نوعها للإبهام الذي يعقبه التفصيل .

ووصف الزيتونة بالمباركة لكثرة ما فيها من كثرة النفع ، وهي التي قال تعالى فيها على سبيل الامتنان على المؤمنين :﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ⑳ ﴾ المؤمنون: ٢٠

---

[1] ١ . تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ١٧٦)

فبركتها لأمرين من داخلها ؛ لكثرة فوائدها ، ومن مكان نباتها وهي الأرض المباركة التي قال فيها : ﴿ **سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١** ﴾ الإسراء: ١

وهذا الوصف للشجرة لبيان كرم وبركة الخارج منها وهو الزيت الذي هو مادة الوقود.

وقوله {لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ } هو وصف يجوز أن يراد به موضع بين شرق بلاد العرب وغربها ، وذلك هو بلاد الشام حيث تتوسط البلدان وهي أصل منبت الزيتون وهذا القول منسوب لزيد بن أسلم [١]

ويجوز أن يكون يراد به كما ورد في قول السدي : ليست بشرقية يحوزها المشرق ، ولا غربية يحوزها المغرب دون المشرق ، ولكنها على رأس جبل ، أو في صحراء تصيبها الشمس النهار كله" وهو قول سعيد بن جبير حيث قال : " تصيبها الشمس بالغداة والعشي فتلك لا تعد شرقية ولا غربية" وهو قول عكرمة ومجاهد وابن عباس الذي قال: لا يفيء عليها ظل شرق ولا ظل غرب ضاحية ذلك أصفى للزيت"[٢]

وإذا كان هذا الوصف أصفى للزيت المستخرج منها ليصير مادة وقود المصباح ، فإنه لشدة صفاء هذا الزيت بهذا الوصف قال تعالى :{يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ} فهذا الزيت يكاد يضيء من صفائه وحُسن ضيائه ، قال زيد بن أسلم : يعني لضوء إشراق الزيت.

ولو لم تمسسه نار : فكيف إذا مسته نار ؟

هذا هو المثل فما هو الممثّل به ؟ الذي غفل عنه كثير من الناس كما ذكر الماوردي في بداية المقال :

الممثل به : النور ولكن أي نو ر ؟

قبل أن ندخل في أقوال المفسرين في ذلك يحسن أن نعرض بعض الآيات القرآنية التي ذُكر فيها النور فإنها أضواء كاشفة للمعنى ؛ إذ أن للقرآن أسلوبه وطريقته الخاصة في توظيف كلمات اللغة العربية للمعاني المراد بيانها ، فهي قد تشترك مع عموم اللغة في المنظور العام للمعنى ، ولكنها تتجه بخصوصية

---

[١] . انظر تفسير ابن كثير:(٦/٦٤).

[٢] . انظر الطبري:(١٩/١٨٣)، تفسير ابن كثير:(٦/٦٤) ،حيث رجح الطبري وابن كثير هذا القول.

أكثر يمكن تسميتها بلغة القرآن ، أو كما سماها بعض الباحثين : عادات القرآن.

من هذه الآيات : ونقسمها بتقسيمات متعددة

١- استُعمل فيه التشبيه الحسي ﴿ **ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾** ﴾ البقرة: ٢٥٧ ، وعلى هذا المعنى أكثر من عشر مواضع في القرآن .

٢- وصف الوحي المنزّل من عند الله على أنبيائه بالنور ففي حق موسى نجد : ﴿ **إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ** ﴾ المائدة: ٤٤.

و ﴿ **قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ** ﴾ الأنعام: ٩١ .

وفي حق عيسى :﴿ **وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ** ﴾ سورة المائدة وهذا قبل التحريف .

وفي حق محمد ﷺ ورد كثير من الآيات بهذا المعنى منها ما يصف بأن المنزل معه نور ﴿ **فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾** ﴾ الأعراف: ١٥٧

وقال تعالى : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾** ﴾ النساء: ١٧٤.

٣- منها ما يصف أثره في حياة من يحمله مثل :

﴿ **أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾** ﴾ الزمر: ٢٢.

قال تعالى : ﴿ **أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ** ﴾ الأنعام: ١٢٢ وقال : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾** ﴾ الحديد: ٢٨

- أما الأثر في الآخرة فهو من أبرز معالم مسيرة المؤمنين في مشاهد القيامة كما في قوله :﴿ **يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ**

ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ الحديد: ١٢

٤- ومن الآيات ما ورد بها وصف كيد أعداء الله بأنها محاولة لإطفاء هذا النور كما في قوله : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ التوبة: ٣٢ .

من مجموع هذه النصوص يتضح أن الله من صفاته النور ، وأن كل ما ينزله على المخلوقين من وحي لهدايتهم فهو نور فمن اهتدى به فقد فاز .

وقد أريد توضيح قوة وصفاء وانتشار هذا النور بإنزال الوحي على رسوله بهذا التمثيل الذي فيه بلغ كمال الفصاحة والبيان للمعاني ، خصوصاً إذا تأملنا في أجزاء المثال : المشكاة – المصباح – الزجاج الخالص – الزيت الصافي.

وللمثال عدة تصويرات حسب تنوع أقوال المفسرين ، وقبل أن نشرع في ذكرها لابد من التنويه أنها من اختلاف التنوع الذي يصدق عليه المعنى دون تناقض ، كما أشار إليه ابن تيميه في مقدمة أصول التفسير.

فيحصل من مجموعها تكثير المعنى وتكثير الفوائد المستنبطة من الآية ، وهذا من خصائص أسلوب القرآن . فلا ينظر إلى اختلاف مشتّت للنظر والفكر ، بل اختلاف مُكثر للفوائد بدون إخلال.[1]

ونرجع هنا للصور المراد تمثيلها وهي متقاربة :

١- قول أبي بن كعب : (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) قال : مثل المؤمن قد جعل الإيمان والقرآن في صدره كمشكاة المشكاة : صدره والمصباح : القرآن والإيمان الذي جُعل في صدره ، والمصباح في زجاجة والزجاجة قلبه ، قال : فمثله مما استنار فيه القرآن والإيمان كأنه كوكب دري: مضيء ، والشجرة المباركة : أصله المباركة الإخلاص له وحده وعبادته[2] ، ففطرته سليمة لم يحرّفها الشيطان فلما لاقت

---

[1] . ولأبي حامد الغزالي (ت٥٠٥) كتاب مستقل في شرح هذا المثل غلب فيه مصطلحات الصوفية سماه : مشكاة الأنوار – مشكاة الأنوار –المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)حققها وقدم لها: الدكتور أبو العلا عفيفي–الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة

[2] . أخرجه الطبري:(١٨١/١٩).

الوحي والقرآن صارت نور على نور .

قال السعدي : " ووجه هذا المثل الذي ضربه الله وتطبيقه على حالة المؤمن ونور الله في قلبه : أن فطرته التي فُطر عليها بمنزلة الزيت الصافي ، ففطرته صافية مستعدة للتعاليم الإلهية والعمل المشروع فإذا وصل إليه العلم والإيمان اشتعل ذلك النور في قلبه بمنزله اشتعال النار في فتيلة ذلك المصباح ، وهو صافي القلب من سوء القصد وسوء الفهم عن الله ، إذا وصل إليه الإيمان أضاء إضاءة عظيمة لصفائه من الكدورات، وذلك منزلة صفاء الزجاجة الدرية فيجتمع له نور الفطرة ، ونور الإيمان ، ونور العلم وصفاء المعرفة نور على نور، ولما كان هذا نور الله –تعالى– ، وليس كل أحد يصلح له ذلك قال تعالى: ﴿ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ ﴾ النور: ٣٥ ممن يعلم زكاءه وطهارته وأنه يزكي معه وينمو "[١].

٢– وقريب منه قول كعب الأحبار [٢] إلا أنه خصّص المشكاة بصدر الرسول ﷺ حيث هو المتلقي الأول لنور الله ووحيه ، ومن ثَمّ شع لباقي الخلق كما هو الحال في المشكاة التي انحصر فيها المصباح فشع على باقي الأجواء.

وباقي أجزاء المثل كما هو القول الأول ، ويتضح فيه أكثر صفاء الزيت بصفاء فطرة الرسول ﷺ، فإنه لم يسجد لصنم قط ، وكان يتعبد في غار حراء قبل نزول الوحي ، فهو يكاد يضيء للناس قبل مجيء الوحي ، فلما صادف الوحي صار نوراً على نور ولذا وُصف ﷺ بالسراج النير كما في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا (٤٦) ﴾ الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦

ولابن القيم تدبر أدق حيث أرجعه إلى تحرير مفسر الضمير في قوله (مثل نوره) فهاء الكناية تعود على أي شيء . قال : " وقد اختُلف في مفسر الضمير في (نوره) فقيل : هو النبي ﷺ ، أي مثل نور محمد ، وقيل : مفسره المؤمن أي مثل نور المؤمن، والصحيح أنه يعود على الله –سبحانه وتعالى– ، والمعنى مثل نور الله –سبحانه– في قلب عبده، وأعظم عباده نصيباً من هذا النور : رسوله ، فهذا ما تضمّنه عود الضمير المذكور وهو وجه الكلام يتضمن التقادير الثلاثة وهو أتم لفظاً ومعنى ، وهذا النور يضاف إلى الله –تعالى– إذ هو معطيه لعبده وواهبه إياه ، ويضاف إلى العبد إذ هو محله وقابله ، فيضاف إلى

---

[١] . تفسير السعدي:ص ٥١٧ .

[٢] . أخرجه الطبري (١٩/١٨٠).

الفاعل والقابل ، ولهذا النور فاعل وقابل ومحل وحال ومادة ، وقد تضمّنت الآية ذِكر هذه الأمور كلها على وجه التفصيل : فالفاعل : هو الله مفيض الأنوار الهادي لنوره من يشاء ، والقابل : العبد المؤمن ، والمحل : قلبه ، والحال : همته وعزيمته وإرادته ، والمادة : قوله وعمله "[1]

الفوائد من هذا المثل :

١- مصدر النور هو الله ، وشرعه ووحيه ودينه وكتابه ، كما أسلفنا في الآيات التي ذُكر فيها النور فمن ابتغى الهدى والنور من غير هذا الطريق فهو في ظلمة ، وذِكر المشكاة وحصرها الضوء فيه معنى حصر النور من هذا الطريق .

فينبغي الحرص في مصادر التلقي ، فلا تؤخذ من صاحب الهوى ، ولا من اقتصر على العقل مشرعاً فضعّف وقوّى وحسّن وقبّح بمحض العقل ؛ لأن الآفات والقصور واردة على العقل. مع التنبيه على أمر رئيس وقاعدة مهمة ، وهو أن صحيح المنقول لا يعارض صريح المعقول ، لكن العقل قد ينتابه القصور ، وقد يغلبه الهوى.

٢- أسعد ما يكون الإنسان في هذه الحياة الدنيا حينما يكون عمله وحركاته وسكناته في نور من الله وبصيرة ، فهو يرى الأمور في حقائقها وحجمها الطبيعي بدون تزيين من الشيطان ، ومن خالف شرع الله فهو في الظلمات ، وليستحضر كل إنسان مقارنة مباشرة لمناشط الحياة في النور أو الظلمة وهل سيصل لمبتغاه في كل من الحالتين وعليه ليختار أي الطريقين أصلح قال تعالى : ﴿**وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ (١٩) وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ (٢٠) وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ (٢٢) إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ (٢٣)**﴾ فاطر: ١٩ - ٢٣

وقال تعالى : ﴿**أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٢٢)**﴾ الأنعام: ١٢٢

٣- فطرة الإنسان هي التوحيد وقبول هذا الدين ، قال تعالى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)**﴾

---

[1] ١ . الضوء المنير (٣٦٣/٤)

الروم: ٣٠ (سورة الروم) فهذا هو النور الذي صُوِّر في المثل بصفاء الزيت بحيث يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار ، فمن كان كذلك فهو أقدر على تلقي نور الوحي .

وعليه ينبغي أن يعظم حرص المؤمن على المحافظة على الفطرة وتعاهد أسرته بذلك ؛ فإن الشيطان يحرص على إفساد الفطرة وتغييرها – ولكن ليس تبديلها –كما ورد في الحديث " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"[1] .

فإذا سلمت الفطرة قبلت الهدى والوحي ، وكانت أقدر على حُسن الاعتبار بمواعظ القرآن ، وكلما ازداد فساد هذه الفطرة كلما ضعف تلقِّيها للدين ومواعظه ، وكلما عظم فسادها صارت محاربة لهذا الدين.

وهذا مقياس ومَحَكٌّ له في اختبار النفس ، فكلما كانت النفس طائعة مستقبله لمواعظ الوحي كانت فطرتها أسلم ، وكان انبثاق النور في قلبها أكثر .

وكلما وجدت النفس أعراضاً أو صدوداً أو لياً لأحكام الله ، فليعلم صاحبها أن ثمة خلل ينبغي إصلاحه لتلقي نور الله ، ومن قصّر في ذلك أو تغافل أو تكاسل فيعلم أنه في ظلمة بقدر ذلك ، وقد حُرم خيراً كثيراً.

وقد رُسم منهج الإصلاح والنجاة ، وحُسن الانتفاع بالوحي ، واستجلاب هذا النور المشار إليه في الآيات التالية لها : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ (٣٦) رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ (٣٧) لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ (٣٨) ﴾ النور: ٣٦ - ٣٨

حيث ذكر مظان هذا النور الممثّل له وهو المساجد التي هي مكان العبادة فيها رجال ، يذكرون الله ويسبّحونه بالغدو والآصال .

ومن فوائد ذلك :

– التنويه بشأن المساجد : بنائها ورفعها وتطهيرها من الأدران الحسية والمعنوية – وفيه تنويه بشأن العبادات التي محلها المسجد من الصلوات ، وأذكار الصباح والمساء. وفي هذا بيان لدور هذه العبادة في

---

[1] . أخرجه البخاري كتاب الجنائزح١٣٨٥ ،مسلم كتاب القدر ح ٦٩٢٦ .

استجلاب النور في الصدور والقرب من الله عز وجل فمن أراد النور والحياة فهذا طريقه ، أما قوله : (رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ...) فهي إشارة إلى أنهم لم ينقطعوا بالعبادة عن معايشهم وأرزاقهم كالرهبان ، فهم يمارسون البيع والتجارة ، ولكنهم يحافظون على علائق القلوب وتوجيهها لله –تعالى– ، فلا يشغلهم معاشهم عن صلواتهم ، وسائر ما افترض الله عليهم به ، وهذا ملحظ مهم في بناء منهج الحياة على نور من الله.

فلا رهبانية في الإسلام ولكن في نفس الوقت (تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار) .

فما دام المؤمن قد حافظ على علائق قلبه لله –تعالى– ، فلا يمتنع ممارسته لأي من مناشط الحياة المباحة ، سواء كانت لكسب معايش أو مسئوليات اجتماعية أو ترفيه أو نحوه ، فالمنصوص عليه (لا تلهيهم) ولم يقل : (لا يتاجرون ولا يبيعون). قال عمرو بن دينار : كنت مع سالم بن عبدالله ونحن نريد المسجد فمررنا بسوق المدينة ، وقد قاموا إلى الصلاة وخمروا متاعهم ، فنظر سالم إلى أمتعتهم ليس معها أحد فتلا سالم هذه الآية : (رجال لا تلهيهم تجارة ، ثم قال: هم هؤلاء)[١] .

– الباعث على ذلك كله هو الخوف من الله، وما أعدّه في اليوم الآخر للفريقين أصحاب النور وأصحاب الظلمات .

وهنا تجد صورة شدة الفزع في هذا اليوم : (يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) فهذا من عظمة هذا اليوم وعظمة أهواله ، وهي نظير قوله في الأبرار : ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) ﴾ الإنسان: ١٠ - ١٢ ، وكلما ازداد الخوف في الدنيا حصل الأمن في الآخرة كما قال تعالى : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (٨٩) ﴾ النمل: ٨٩.

والنتيجة في هذه الآية لهذا الخوف :

{لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ}

المثل الثاني والثالث:

---

[١] . انظر تفسير ابن كثير(٦/٧٤).

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ (٣٩) أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ (٤٠) ﴾ النور: ٣٩ - ٤٠

المباحث اللغوية :

السراب : السرب الذهاب في حدور ﴿ فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا (٦١) ﴾ الكهف: ٦١، والسراب اللامع في المفازة كالماء لان سرابه في مرأى العين[١]. ويحصل غالباً حين يشتد الحر فينشأ من رطوبة الأرض وحرارة الجو فيلوح من بعيد كأنه ماء.[٢]

بقيعة : البا حرف جر بمعني في ،و(قيعة) جمعها قيعان :وهي الأرض المنبسطة القفر التي لا جبل فيها ولا شجر.[٣]

بحر لجي : لجة البحر :معظمه أي في بحر عميق ، فالنسب مستعمل في التمكن من الوصف.[٤]

وذكر الراغب أن لجة البحر: تردد أمواجه كما أن لجة الليل : تردد ظلامه ، واللجاج : التمادي في تعاطي الفعل المزجور ومنه (بل لجوا في عتو ونفور)[٥] .

الموج : تصاعد ماء البحر عن سطحه بسبب هبوب الرياح التي تجعل الماء يضطرب ويعلو بعضه فوق بعض.

الممثّل له على الإجمال واحد (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ) .

ولكن الممثَّل به : صورتان نذكرها أولاً ، ثم نذكر وجه الشبه .

الصورة الأولى :(كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا)

---

[١] . مفردات الراغب ص ٢٢٩

[٢] . التحرير (٢٥٢/١٩)

[٣] . مفردات الراغب ص ٤١٥

[٤] . التحرير (١٩/ ٢٥٦).

[٥] . مفردات الراغب ص ٤٤٧

فالصورة تحكي عن سراب يكون بأرض منبسطة ، لا شجر فيها ، ولا ماء ، ولا جبل (بقيعة) فإذا رأي هذا السراب من هو محتاج للماء ظمآن أقبل عليه مستبشراً بحصول مراده من الري بهذا الماء- وفرق بين رائي السراب الظمآن ، ومن يراه وهو ليس بظمآن ، فإن حال الإقبال على هذا السراب يختلف — فهذا الظمآن أقبل على السراب حتى وصل المكان الذي رُؤي فيه السراب ، وانتهى إليه لم يجده شيئاً فلم يحصل له أي نفع يمكن الانتفاع به ف(شيئاً) نكرة في سياق النفي فتدل على العموم، بالإضافة إلى كونها موغلة في النكرة ، فحاصله أنه لم يحصل له نفع البته لما وصل للمكان الذي يظن نجاته فيه وهو أحوج ما يكون للماء .

الصورة الثانية :

حال من خاض البحر قاصداً غاية مطلوبة ، فدخل لجَّته فهو في منتصف البحر لا ساحل يراه، وهو في ظلمة الليل ، فالشمس التي هي مادة الإضاءة غائبة ، وقد غشيه الموج من فوق ذلك الموج موج يركب بعضه بعضاً لشدة تعاقبه ، وهذا يكون عند اشتداد الرياح فلا يكاد الموج ينكسر حتى يلحقه موج آخر من فوقه فهذا أبقى لظلمته.

وفوق هذا البحر سحاب من شأنه زيادة الظلمة ؛ لأنه يحجب ضوء القمر والنجوم على ضعف هذا الضوء.

فهي ظلمات بعضها فوق بعض : ظلمة الليل (أو كظلمات) ، وظلمة الأمواج وهي مركبة (موج يغشاه موج من فوقه) ، وظلمة السحاب (من فوقه سحاب) .

و صور تراكم هذه الظلمات المسببة لانعدام رؤية الطريق بأنه حتى أقرب ما يكون لعينه وهي اليد التي من جسده لو نصبها أمام عينيه فإنه (لم يكد يراها) فكيف برؤية الطريق والساحل الذي يريد الوصول له ، فهو ممتنع من شدة هذه الظلمات المركبة المتنوعة الأسباب والمصادر.

الممثّل به : وهو الغرض الأساسي لسوق المثال:

قبل أن نعرض صورة المثل نعرض لصلة الآية بما قبلها إذ لها ارتباط وثيق بالممثل به ووجه الشبه.

قال المفسرون : لما بيّن حال المؤمن وأنه في الدنيا يكون في النور وبسببه يكون متمسكاً بالعمل الصالح ،

ثم بيّن أنه في الآخرة يكون فائزاً بالنعيم المقيم، والثواب العظيم ، أتبع ذلك بأن بيّن أن الكافر يكون في الآخرة في أشد الخسران وفي الدنيا في أعظم أنواع الظلمات ، وضرب لكل واحد منهما مثلاً (١) .

وقد صرحت الآيات بالممثَّل به وهو الذين كفروا وتحديداً أعمالهم ، ولكن ضرب لهذه الأعمال بمثالين عطف أحدهما على الآخر بحرف (أو) :- (أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ .....أَوْ كَظُلُمَاتٍ) ومعروف في اللغة أن (أو) من حروف العطف ، ومن معانيها التوزيع ، ومعروف أن أجزاء المثال مختلفة ، وعليه فإن هاتين الصورتين تصف أعمال الكفار بعدة اعتبارات تنوعت أقوال المفسرين فيها ، وفي هذا التنوع يتم استنباط الفوائد والاعتبار بالمثل. ومن هذه الأقوال :

١- أن يكون المثل الأول مضروباً لأعمال الكفار الحسنة فهي السراب ، والمثل الثاني لأعمالهم القبيحة وهي الظلمات (٢) ، فالأعمال الحسنة ما اتفقت الفِطر على حُسنه مثل الصدقات والإحسان إلى الناس والصدق والعدل والصبر وغيره مما رتّب عليه الشرع الأجور إذا صاحبها التوحيد، فالكافر إذا عمل فإنه يرجو نفعها فإذا جاء اليوم الآخر وعاين أهواله كان في أشد الحاجة إلى ما ينجّيه ، فتكون هذه الأعمال مثل السراب ، فالماء مادة حياة وخير فشابهتها من حيث النظر ، أما الحقائق فلم تماثلها ؛ لأنه قارنها الشرك فأحبطها كما قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ الزمر: ٦٥ - ٦٦

وفي مثل هذا المعنى قال : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الفرقان: ٢٣

فهذه الأعمال لم تُحتسب له في الميزان يوم القيامة ، ولما جاء إلى الحساب ظاناً نفعها تتجلى الحسرة في موقعين : الأول : عدم نفع هذه الأعمال في صورة السراب الذي لو كان ماءً حقيقة لروى الظمأ.

والثاني : أنه وجد الله عنده فوفّاه حسابه لما ترك توحيد الله وعبادته ، وكل هذا يتم في لحظات ويُحسم الأمر (وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) فهذا من تمام الخسران ، وكلمة (فوفاه) تدل على أنه لا تخفيف فيه.

وأما الأعمال القبيحة: فهي الظلمات ، ويصدق ذلك على الشرك والكفر ومحادة الله ورسوله والكبر، والصد عن سبيل الله ، هذا في علاقتهم بربهم ومثله علاقتهم بالناس : أكل أموال الناس بالباطل –

---

(١) . انظر التفسير الكبير (٢٤/٧).

(٢) . المرجع السابق.

الظلم– القتل وهذا الوصف يقابله وصف النور لمنهج الله، كما في قوله :﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ الأنعام: ١٢٢ .

ويلاحظ هنا جمْع الظلمة وإفراد النور وهذه الكلمة لم ترد في القرآن إلا بالجمع (الظلمات) لأن طرق الضلال كثيرة ، أما منهج الله فهو واحد طريق مستقيم ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٣ .

وهذه السورة قد ابتدأت بقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ الأنعام: ١.

فجمع السبل في الضلال وأفردها في سبيل الله ، فالأعمال القبيحة التي لا خير فيها ولا يُظن فيها خير كذلك متعددة المناهج ومصادرها متعددة ، فالمثل : كان مصادر الظلمة متعددة : ظلمة الليل، وظلمة لبحر ،وظلمة تراكم الأمواج، وظلمة السحاب .

وفي هذا يقول أبي بن كعب : " ضرب مثلاً آخر للكافر فقال : (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ ...) فهو يتقلّب في خمس من الظُّلَم : فكلامه ظُلمة ، وعمله ظُلمة ، ومدخله ظُلمة ، ومخرجه ظُلمة ، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة إلى النار"[١] .

٢– الوجه الثاني : أن المثالين قد ضُربا لعمل الكافر ، ولكن المثل الأول مضروب لمآل ومصير العمل في الآخرة فهو السراب ، بصرف النظر عن نوعية العمل ، فهو قد كفر بالله وزيَّن له الشيطان عمله وقد كان ناصباً متعباً من عمله ، يظن أنه ينفعه وفي هذا وُصف بقوله:﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ ﴾ الغاشية: ٣ ، فهي عملت ونصبت وتعبت ولكنها لم تنتفع به — وفي تفصيل المثل على نحو ما ذكرنا في الوجه الأول ، أما المثل الثاني فهو وصْف لحاله في الدنيا. وقد ورد أثر عن ابن عباس يجمع أمثلة شتي مع هذا المثال لوصف حال الكافر وعمله في الدنيا فقال : " يعني بالظلمات الأعمال ، وبالبحر اللجي ، قلب الإنسان ، قال : يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، وقال: ظلمات بعضها فوق بعض ، يعني

---

[١] . أخرجه الطبري (١٩/١٩٨).

بذلك الغشاوة التي على القلب والسمع والبصر وهو كقوله : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧ ﴾ البقرة: ٧ ، وكقوله ﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٣ ﴾ الجاثية: ٢٣ "[1] ز

٣- الوجه الثالث : تنويع أحوال الكفار :

فأصحاب المثل الأول هم الذين عملوا على غير علم ولا بصيرة ، بل على جهل وحُسن ظن بالأسلاف ، فكانوا يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، فهذا مثل حال الضالين في سورة الفاتحة.

وأصحاب المثل الثاني هم الذين استحبوا الضلالة على الهدي ، وآثروا الباطل على الحق ، ، فهذا حال المغضوب عليهم .

وحال الطائفتين مخالف لحال المنعَم عليهم المذكورين في قوله : ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾ النور: ٣٥ ، فتضمنت الآيات أوصاف الفرق الثلاثة : المنعَم عليهم وهم أهل النور ، والضالين وهم أصحاب السراب ، أصحاب العمل الباطل الذي لا ينفع، والمغضوب عليهم وهم أهل الظلمات المتراكمة، أصحاب العلوم والنظر الذي لا ينفع والاعتقادات الباطلة ، فمثل تلاطم هذه العلوم والشُّبه والشكوك في قلبه مثل تلاطم الأمواج في البحر ، وقد غطّاها سُحب الغي والهوى والباطل وإلى هذا ذهب ابن القيم[2].

٤- الوجه الرابع : أن في المثلين ذكراً لنوعي الكفار أيضاً، ولكن المثل الأول هو للكفار الدعاة إلى كفرهم الذين يحسبون أنهم على شيء من الأعمال والاعتقادات ، وليسوا في نفس الأمر على شيء فمثلهم في ذلك كالسراب الذي يُرى في القيعان من الأرض عن بُعد كأنه ماء، فأما المثل الثاني فهو للكفار المقلّدين لأئمة الكفر الصُم البُكم الذين لا يعقلون ، فمثلهم كما قال الله تعالى : (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ) فهذا مثل قلب الكافر الجاهل المقلّد ، الذي لا يدري أين يذهب ، ولا يعرف حال من

---

[1] . أخرجه الطبري (١٩/-١٩٩١٩٨).

[2] . الأمثال ص ١٩٧.

يقوده ، وممن ذهب لهذا ابن كثير.(١)

٥- ويجوز أن يراد به وجه آخر : وهو أن المثل الأول للضلال الذي قارنه اعتقاد حُسن العاقبة ، وهذا يغلب على المشركين الذين ظنوا في شركهم قُربه ، ومن أمثلة ذلك ضلال النصارى في اعتقادهم المسيح ابن الله .

ومن أمثلته المشركون المذكورون في قوله: ﴿ **أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ (٣)** ﴾ الزمر: ٣

وقد يكون هم الذين ورد في وصفهم : ﴿ **قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا (١٠٣) ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا (١٠٤)** ﴾ الكهف: ١٠٣ - ١٠٤ ، وعليه يكون غالبهم ممن يتعبّد لله على ضلال وشرك .

أما المثل الثاني فهم المحاربون لله ورسوله ، والذين في صدورهم كِبر ما هم ببالغيه، الذين عملهم في الصد عن سبيل الله.

الفوائد :

١- من أسلوب القرآن استعمال المتقابلات سواء في الأمثال أو غيرها.

وهنا يرد في القرآن في مواضع متعددة وصْف منهج الله بالحياة والنور والإشراق والبصيرة ، خاصة في أمثلة النفاق في سورة البقرة.

وفي المقابل يأتي وصف الموت والظلمة والظمأ للكفار. ومما ورد هنا لوصف من ابتعد عن منهج الله :

- في الدنيا : الظلمة المانعة لرؤية الحقائق ، ورؤية الطريق المستقيم الموصل للغايات

في الآخرة الظمأ في أشد ما تكون الحاجة للماء .

---

[١] . تفسيره (٦/٧٧).

- الغرر حينما يستحوذ العقل والهوى في رسم الطريق بعيداً عن منهج الله ، فيظن أنه قد وصل إلى مراده ، وهذا حال السراب لرائيه عندما يشتد الظمأ ، في مقابل النور والبصيرة في شرع الله.

٢- ضرورة الاستعداد لليوم الآخر الذي يفصل فيه الله بين الخلائق ، ففيه أهوال عظيمة يتعلق فيها الإنسان بأي عمل يظن أنه قد ينجّيه ، فماذا قدّمنا لنجاتنا في هذا اليوم ؟ ، هل عملنا؟، وإذا عملنا هل نحن على صراط مستقيم أم أننا نحسب أننا نُحسن صنعاً والأمر على خلاف ذلك ؟؟

٣- من أعظم أهوال يوم القيامة حينما تُعرض الأعمال بين دقة وإحصاء كما في قوله : ﴿ **وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ** ﴾ الكهف: ٤٩ ، وبين حكم على أعمال تعب عليها صاحبها ونصب فيجدها لا تنفع فهي كالسراب ، فيخونه عمله وباطله أحوج ما يكون إليه ، فكل عمل كان غاية عامله لغير وجه الله أو على غير منهج الله يبطل ويتضرر منه صاحبه بحصول ضد ما يؤمله ، فلم يذهب عليه عمله واعتقاده لا له ولا عليه ، بل صار معذَّباً بفوات نفعه، وبحصول ضد النفع ، فلهذا قال تعالى : ﴿ **وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩** ﴾ النور: ٣٩.(١)

ولهذا النوع من العمل في عصرنا الحاضر أمثله كثيرة ، فما أكثر العاملين الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

ولعل أكبر قضية تُطرح الآن ما يتعلق بحفظ حقوق المرأة ، فهو مقصد نبيل وقد حفظه الشرع ، فمَن مِن العاملين فيها على مستوى العالم الإسلامي سار فيها على منهج الشرع ؟ وكم من الظلمات والشُّبه ظللت العاملين فيها ؟ .

وغيرها كثير من قضايا الشرع وثوابته التي بُسطت على مائدة الحوار ، وكم من قَدمٍ زاغت ومالت في ذلك .

٤- كما تعددت مصادر الظلمات الحسية المذكورة في مَثل البحر ، ففي الحياة الدنيا تعدد لمصادر

---

١ . الأمثال ص ١٩٤.

الضلال التي تجتمع في وصف الظلمة ، فهناك الشُّبه والشكوك وأثرها في الاعتقاد ، وهناك الهوى والشهوات التي تستعبد القلوب فيعيش أسيراً لها ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ الجاثية: ٢٣

وهناك شرور النفس ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ يوسف: ٥٣ ، وهناك تسلُّط الشيطان على هذه المداخل كلها لتزيينها ، وكلما تعاظمت هذه المصادر ، واجتمعت على النفس كلما كان حظه من الظلمات أكثر وخساره أكبر.

٥- إذا خَلت النفوس من نور الإيمان فهي قيعان ، قال ابن القيم : " وتأمل جعل الله –سبحانه- السراب بالقيعة ، وهي الأرض الخالية القفر من البناء والشجر والنبات ؛ وذلك مطابق لأعمالهم وقلوبهم التي أقفرت من الإيمان والهدى" .[1]

٦- الإنسان في هذه الحياة مُعرّض للفتن ، فقلبه إما في نور ، وهذا النور درجات حسب ما يجتهد صاحبه من التعلق بالله والعبادات التي ذُكرت في المساجد من الذكر والصلاة والزكاة وغيرها ، وإما في ظلمة فهو كلما قصَّر في تحصيل النور صار قابلاً للظلمة التي لا تقف عند حد ، فقد تبدأ بشكل بسيط وسبب واحد ، ولكن حينما لا يجتهد صاحبه بإزالة سبب الظلمة فإن الظلمات سوف تتسارع إلى هذا القلب وتتراكم تراكم الأمواج التي علاها السحاب ، فحجب كل مصادر النور ، وهذا أخطر ما يكون على العبد ؛ حيث يُختم على قلبه ، فلا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً.

ولكن ثمة باب ينبغي الاستعانة به دائماً مع العمل ، ألا وهو الدعاء ؛ لأن العبد ينبغي ألا يتكل على العمل وحده ؛ لأنه قد يقارنه ما يحبطه ، فيظن أنه يحسن صنعاً ويتفاجأ بالنتيجة.

الدعاء بالثبات على منهج الله، الدعاء بأن يكون في نور الله ، فالآيات خُتمت بقوله:﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ النور: ٤٠ في مقابل المؤمنين حيث قال : ﴿ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ النور: ٣٥.

ولذا كان من دعاء الرسول ﷺ : (اللهم اجعل في قلبي نورا، وفي بصري نورا، وفي سمعي نورا، وعن يميني

---

[1] ١ . الأمثال ص ١٩٢ .

نورا، وعن يساري نورا، وتحتي نورا وأمامي نورا وخلفي نورا واجعل لي نوراً) (١) .

نسأل الله العظيم أن يجعل في قلوبنا نوراً وعن أيماننا نوراً وعن شمائلنا نوراً وأن يختم لنا نوراً.

علاقة هذه الأمثال بموضوع السورة ومقاصدها :-

عند التأمل يتبين أن الأمثال في هذه السورة تشكّل الوحدة الموضوعية فيها والمقصد الرئيس منها : فموضوعها : نور الله ووحيه في قلب المؤمن ، وضده وهو ظلمة الكفر والمعاصي.

وبالرغم من أن هذه السورة تميّزت عن باقي السور بعرْضٍ مكثّف لحكم الزنا والأحكام المتعلقة به مثل حكم القذف ، وحكم اللعان من جهة ، وجملة من التشريعات التي من شأنها الوقاية من الوقوع في الزنا مثل أحكام الاستئذان ، وغضّ البصر، الحث على النكاح، الحجاب من جهة أخرى ، مما دعا كثيراً من الباحثين جعْل ذلك هو الوحدة الموضوعية في السورة، إلا أنه عند التأمل نجد أن كل هذا شغل حوالي نصف السورة فقط، فلما فرغ منها أتت تلك الأمثال التي سبق عرضها ، فما علاقة النور والظلمة بموضوع الزنا وحفظ المجتمع منه ؟

والواجب أن الزنا من الكبائر التي سببها الشهوات، والشهوة في الحقيقة لحظة استحواذها في القلب هي لحظة لانطفاء نور الإيمان في القلب ؛ وذلك مصداق لحديث الرسول ﷺ : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)(٢) .

فلحظة مقارفة الزنا يُرفع الإيمان ، وينطفئ نوره في القلب ، إذاً فهو ظلمة ، وعلى قدر استمرارها يكون استمرار الظلمات.

إذاً السورة تحدّثت من بدايتها إلى المنتصف عن حجْب نور الإيمان في قلب المؤمن، وفي المنتصف يأتي البيان الواضح الجلي لهذا النور﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ النور: ٣٥ ثم ذكر بعده الأسباب الجالبة للنور فتذكر المساجد والذكر والصلاة ، ثم يذكر التسبيح والتفكر في خلق السموات والأرض

---

[١] . أخرجه البخاري برقم (٦٣١٦) ٨/٦٩ ، ومسلم برقم (٧٦٣) ١/٥٢٥ .

[٢] . أخرجه البخاري كتاب المحاربين باب نقصان الإيمان بالمعاصي ح ٦٨١٠ ، ومسلم : كتاب الإيمان باب نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية.

والسحاب ، وإنزال المطر ، وتقلب الليل والنهار ، وخلق الدواب ، فكلها آيات تدل على خالقها ، وتهدي للإيمان ، وجميع المخلوقات غير هذا الإنسان تسبح له حتى الطير الصافات علمت ذلك ؛ ولذلك في ختام هذا المقطع من السورة (مقطع الأمثال) يقول تعالى : ﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٦) ﴾ النور: ٤٦

كما يرد في النصف الثاني من السورة ذكر المنافقين ، وهم مثال حي لمن ورد على قلوبهم النور فأعقبه الظلمة ، وقد بيّن ذلك جلياً أمثلة سورة البقرة المثال الناري: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ (١٧) ﴾ البقرة: ١٧

والمثال المائي:﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ (١٩) ﴾ البقرة: ١٩

وفي أثناء عرض أعمال المنافقين نرى ذكر أنوع الظلمات : ﴿ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ ﴾ النور: ٥٠ ، فذكر مرض القلب، والريب، والإعراض ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ (٤٨) ﴾ النور: ٤٨ ، ويذكر الذين يتسللون لوذاً ، وتُذكر الفتنة ، مع التركيز في ميز المنافقين إلى أمر مهم يمكن أن يفقد به المؤمنون نورهم ، ألا وهو الحكم بما أنزل الله والتسليم لحكمه عند الاختلاف ، فقال : ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ (٥٢) ﴾ النور: ٥١ - ٥٢.

إذاً موضوع السورة هو الآية (٣٥) وهو النور ، وقد حملت السورة هذا الاسم ، ومعلوم أن أسماء السور توقيفية ، ومن المعلوم أن الاسم دال على المسمى ، اسمها النور ، وموضوعها النور بمحاور متعددة ؛ ونظراً لأهمية هذا الموضوع فالسعادة والشقاء متعلقة به ، فكان مطلعها فريداً ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١) ﴾ النور: ١.

قائمة المصادر والمراجع لكامل البحث

- الإتقان في علوم القرآن –المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)–المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم–الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب–الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.
- اجتماع الجيوش الإسلامية–المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)–تحقيق: عواد عبد الله المعتق–الناشر: مطابع الفرزدق التجارية – الرياض–الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم–المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)–الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- أسرار البلاغة–المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)–قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر–الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن–المؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)–الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان–عام النشر : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ .
- إعلام الموقعين عن رب العالمين–المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)–تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم–الناشر: دار الكتب العلمية – ييروت–الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.
- الأمثال في القرآن–المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)–الناشر: مكتبة الصحابة – مصر– طنطا – بجوار محطة القطار – خلف المعهد الأزهرى شارع الجنبية الغربي–المحقق: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد–الطبعة: الأولى ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.
- الأمثال في القرآن الكريم ،الصديق بو علام ، كتاب الكتروني .
- الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله–المؤلف: عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع–الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية–الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- البرهان في علوم القرآن –المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)–المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم–الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.
- البلاغة العربية المؤلف: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ) الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت–الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»–المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)–الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس–سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
- تفسير القرآن العظيم–المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)–المحقق: سامي بن محمد سلامة–الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع–الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان–المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)–المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق–الناشر: مؤسسة الرسالة–الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.
- جامع البيان في تأويل القرآن–المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)–المحقق: أحمد محمد شاكر–الناشر: مؤسسة الرسالة–الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

- جمهرة الأمثال –المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)–الناشر: دار الفكر – بيروت.
- شعب الإيمان–المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)–حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد–أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند–الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند–الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.
- صحيح البخاري–الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي–المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر–الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)–الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم –المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم–المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)–المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي–الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الضوء المنير على التفسير–المؤلف: ابن القيم–المحقق: علي الصالحي–نبذة عن الكتاب: جمعه : علي الحمد المحمد الصالحي – مؤسسة النور - عنيزة<
- غريب القرآن–المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)–المحقق: أحمد صقر–الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية)–السنة: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل–المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)–الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت–الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.
- لسان العرب –المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) –الناشر: دار صادر – بيروت –الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر–المؤلف: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، لجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: ٦٣٧هـ)–المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد–الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت.
- المدلولات التربوية للأمثال القرآنية – دراسة تحليلية لنصوص القرآن– إعداد : يزيد حمزاوي (كتاب الكتروني).
- مجاز القرآن–المؤلف: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (المتوفى: ٢٠٩هـ)–المحقق: محمد فواد سزگين–الناشر: مكتبة الخانجى – القاهرة–الطبعة: ١٣٨١ هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل–المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)–المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون–إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي–الناشر: مؤسسة الرسالة–الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- مشكاة الأنوار – مشكاة الأنوار –المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)حققها وقدم لها: الدكتور أبو العلا عفيفي–الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.
- معاني القرآن وإعرابه–المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)–المحقق: عبد الجليل عبده شلبي–الناشر: عالم الكتب – بيروت–الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

- معاني القرآن–المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)–المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي–الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر–الطبعة: الأولى.
- معجم مقاييس اللغة –المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) –المحقق: عبد السلام محمد هارون – الناشر: دار الفكر – عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير–المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)–الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت–الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
- المفردات في غريب القرآن–المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)–المحقق: صفوان عدنان الداودي–الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.
- مقالة د/مساعد الطيار (ثلاث أفكار في الأمثال القرآنية) منشورة في موقع: ملتقى أهل التفسير.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور–المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)–الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة